منطقة واحدة يضع السيطرة الصهيونية في تلك المنطقة موضع التساؤل الدائم . ومن المفهوم ان الحركة الصهيونية ، بالأساس ، ليست حركة فكرية ، ينضم اليها من يقبل بمجموعة من الافكار والمعتقدات ، بل هي حركة تعتمد مفهوم العرق المغلق ، الذي تتوجب صيانته باستمرار من التلوث بالاعراق الاخرى .

ان العجز عن تكوين كتلة سكانية يهودية ذات وزن في الضفة الغربية أو في قطاع غزة ، والعجز عن الاحتفاظ بتفوق سكاني في الجليل والمثلث والنقب ، يعني ان هذه المناطق ، بالترتيب الذي وردت فيه ، معرضة للاقتطاع من « دولة اليهود » . وقد اثبتت التجارب الماضية ان غير اليهود لا يمكن ان يكون لهم نصيب في دولة اليهود ، سواء على المستوى السياسي او الاقتصادي او الثقافي او الاجتماعي .

ان جهود نحو مئة عام ، بدأت بالهجرة اليهودية الاولى عام ١٨٨٢ ، لم تؤد الى خلق اغلبية يهودية مضمونة الا في منطقة واحدة من فلسطين ، وهي المنطقة الساحلية الممتدة من حيفا شمالا الى تل ابيب جنوبا . وهذه المنطقة لا تزيد مساحتها عن ٢٠٠٠ كم٢ . ورغم الجهود الكبيرة التي بذلتها الوكالة اليهودية والسلطات الحكومية الاسرائيلية لتوزيع السكان من أجل خلق اغلبيات في كافة المناطق الأخرى ، الا ان هذه الجهود لم تنجح . وعلى العكس من ذلك يشكو موظفو الوكالة اليهودية وموظفو وزارة الاستيعاب من أن المهاجرين الجدد لا يرغبون في ان يكونوا « طلائعيين » ، ويميلون الى الاقامة في التجمع المديني الساحلي . والمسألة لا يمكن ان تقف عند عدم النمو . فعدم النمو ذاته آلية خاصة به تدفع بالطلائعيين القدامى الذين ارسلوا سابقا الى مستوطنات الجليل والنقب الى النزوح باستمرار نحو الوسط . ولذلك من المتوقع ان تتزايد سرعة نمو الاغلبية العربية في الجليل والنقب . ومن شأن هذا التطور ان يؤدي الى خلق مركز سكاني مديني في وسط البلاد يتكون أساسا من اليهود ، والى خلق طوق سكاني عربي يبدأ بغزة ويمر بالنقب والضفة الغربية وصولا الى المثلث والجليل . ومن شأن هذا التطور ان يصل الى وضع ينشأ فيه اتصال سكاني مباشر بين الطوق الفلسطيني السكاني الداخلي وبين التجمعات السكانية العربية في البلدان العربية المحيطة .

من اجل منع الوصول الى هذه النتيجة تبنت القيادة الصهيونية استراتيجية تعتمد اقامة احزمة امنية سكانية : في البداية اقامة حزام امني يتألف من مستوطنات يهودية على طول الحدود اللبنانية والسورية والاردنية وحدود قطاع غزة . وبعد عام ١٩٦٧ جرى اقامة حزام امني عرف باسم مشارف رفح لكي يكون حاجزا بين سكان قطاع غزة ومصر ، كما جرى اقامة حزام من المستوطنات على طول هضبة الجولان وغور الاردن ووادي عربة . واعتمدت سياسة تهويد القدس على اقامة طوق سكاني يحيط بالمدينة . كما جرى وضع خطة لاقامة سلسلة من المستوطنات بين القدس واريحا ، بحيث تشكل حاجزا سكانيا بين جنوب الضفة الغربية (التي يسمونها يهودا) وشمال الضفة الغربية (التي يسمونها السامرة) . وليس عبثا اطلاق الاسم المركب — يهودا والسامرة — على منطقة جغرافية واحدة هي الضفة الغربية .

غير ان تبني الاستراتيجية الصحيحة ، ووضع الخطط المحكمة ، واقرار السياسات الصحيحة ، لا يعني ضمان تحقيق النتائج المطلوبة . يبقى سؤال لا يجد له جوابا : من اين